د- الحياة في المنسك الهدوئي

* مع الأب نيكيفوروس

لقد استطعنا التعرُّف على الأب نيكيفوروس وهو على قيد الحياة، عندما كنّا نزور الشيخ ما بين العامين ١٩٧١ – ١٩٧٣، حين رقد الشيخ العجوز. كان شيخاً طاعناً في السنّ، متوسّط القامة، منحني الجسم ونحيلاً، كان يتبع الأب أفرام كما يتبع طفلٌ صغيرٌ أمَّهُ. خلال كل السنين التي كان يعاني منها من فقدان الذاكرة، لم يكن يستطيع البقاء لبرهةٍ من دون الشيخ أفرام. كان يطلبه ببكاء وزفرات. لم يخرج الشيخ إطلاقاً من القلاية لخمس سنوات، وذلك لكي يقوم بخدمة الأب نيكيفوروس المريض، بمحبة وتضحية

قد سمعنا عن الصعوبات في طباع الشيخ العجوز، والصبر والطاعة الصارمة التي مارسها الأب أفرام في السنين السالفة، وكنّا نظنّ أنه كان يعتني بالمريض العجوز بدافع التزامه بالنظام والأصول الرهبانية، كون ذلك تحصيلاً حاصلاً، حيث لم يكن هناك في القلاية مع الشيخ العجوز سواه. إلاّ أننا انذهلنا، حينما تأكّدنا من عمق المحبّة التي كان يقدمها، وأكثر من ذلك الرِّقة والحنوّ اللذين كان يعامله بهما. لقد كان يطعمه، يغيّر له ثيابه ويعتني بنظافة جسمه، يقرأ له خدمات الصلاة – فالعجوز كان أصم بالكلية، إلاّ أنّه كان يشارك مكرِّراً بصوت عالٍ الصلاة التي كان يراها مكتوبة بأحرف كبيرة على لوح من الكرتون: "أيّها الرب يسوع المسيح، إرحمني". وعلى الرغم من كون الأب أفرام صارماً مع نفسه وقوراً، فقد كان يداعب الشيخ الكبير كطفلٍ صغير

بعد موته كتب أحد الأبناء الروحيين للشيخ أفرام رسالة له يُلمّح فيها أنّه، أيّ الشيخ أفرام، قد ارتاح أخيراً من الصعوبات التي كان يحتملها مع الأب نيكيفوروس، غائباً عن ذهنه أننا نصلّي حتى من أجل الراقدين، طالبين راحة النفس ومتناسين ضعفاتهم. فحصل على واحدة الآن من أقسى وأعنف رسائل الشيخ

ينحدر الأب نيكيفوروس من ضواحي مدينة ثيفا، من بيري. جاء إلى موطن الشيخ أفرام الكبير، إلى كاتوناكيا، في أواسط العقد الثاني من القرن العشرين بعد ١٩١٠. في عام ١٩٢٤ سيمَ كاهناً في قلاّية كاريون. كان دقيقاً منتبهاً بكونه كاهناً خادماً ، ذو صوت جميل في الترتيل. حقار خشب ماهراً، مدبّراً جيداً للبيت، وشيخاً صارماً متشدداً. كان يعاني من مشكلة في السمع، ولهذا كان يستعمل جهازاً كهربائياً خاصّاً مزوّداً ببطارية، وهكذا بدا أكثر صرامة وتسلُّطاً مما كان عليه في الواقع، كان جيرانه يهابونه ويحترمونه. إلاّ أنهم كانوا يبتسمون عندما يرتّل قطع البوليئيليون في السهرانيات، وذلك بالتناوب مع الأب ذوسيثيوس الأعمى ذي الصوت الرخيم. كان الأب نيكيفوروس، الأصم، يرتل آية المزمور: "لها آذان ولا تسمع..."، أما الأب الأعمى فيرتل: "لها أعينٌ ولا تُبصر..."

كان إنساناً بسيطاً ولم يستطع التعامُل والتحاور مع القضايا الروحية التي كان يطرحها الأب أفرام، إلاّ أنه كان يحبّه كابنه ويُنعم عليه. هكذا استطاع الأب أفرام أن يحمل ثماراً روحية مفيدة من الشيخ يوسف، بالإضافة إلى إقناعه للأب نيكيفوروس بما هو أفضل. أيضاً، خلال الاحتلال الألماني، عندما تبعثر وانتشر كلّ الآباء في الأديرة- كما في العالم أيضاً- لكي يتمكنوا من تأمين عيشهم، عمل خطّة ليحافظ على أخويّته في كاتوناكيا. فقد اعتاد على الذهاب كلّ سنة، صيفاً، إلى ثيفا حاملاً في طريق عودته قمحاً وحاجاتٍ أخرى ضرورية، مما كان يعطيه اقاربه من مُلكهم الخاص, أحياناً كان يغضب صائحاً: "إنكم تأكلون خبز أبي". إلاّ أن الأب أفرام كان يهدِّئُه بمحبة وتواضع

يروي أخو الشيخ أفرام ما يلي: "جاء مرة الأب نيكيفوروس إلى بيتنا وقال لوالدتنا: "لا تطلبوا خروج أفرام إلى العالم. إنه مطيع مثاليّ، إنه جيّد جداً. إن نزل إلى العالم، فسيختطفوه مني ويجعلوه في الحال كاهناً رعائياً وسيفقد ما يعيشه في الجبل المقدّس. أفرام منذ الآن يرى ويعيش الفردوس". وراح يروي أيضاً: "كان الأب أفرام يخدم القداس، أما أنا، الأب نيكيفوروس، وبروكوبيوس فكنّا نرتل. وبينما كنّا ننتظر منه قول

"الإعلان" في ختم إفشين، بقي صامتاً. انتظرنا قليلاً، إلاّ أنه لم يُجِبْ إطلاقاً. دخلتُ إلى الهيكل لأرى ما الأمر، فرأيتُهُ في حالة انخطاف، واقعاً راكعاً أمام المائدة المقدّسة. فدفعته قليلاً، هززته، وحينها صحا. أخذ ينظر يميناً وشمالاً، طالباً أن يدرك أين هو. كان غارقاً في الدموع. من دون أن يقول شيئاً، تابع خدمة القداس. وعندما أنهينا الخدمة، دنا إليَّ وقال لي: "أيها الشيخ، باركني، وكان يبكي. إن كان هناك من بركة، ورأيتموني مرة أخرى في حالة كهذه، اتركوني، لا تدفعوني بيدكم لكي أصحو. سأعترف اليوم لكم بما حدث لي: لا أدري كيف حصل، خرجت من نفسي ورأيتُ ملائكةً صاعدين نازلين على المذبح وهم يرتلون. كنت أشعر بغبطة لا توصف، كنتُ خارج النفس. ثم صحوتُ بدفعاتكم ونعراتكم، وبكلامكم معي حينها. أرجوكم، أيّها الشيخ، إن حصل لي هذا ثانية، دعوني كما أنا"

كان للأب أفرام، بشكل عام، صحة جسدية حسّاسة، سريعة التأثُّر، ولكي يتمكّن من القيام بجهاده الروحي، كان يأخذ بعين الاعتبار موضوع نظامه الغذائي،بالإضافة إلى كون الخبرة قد علّمته ذلك. لفترة من الزمن، من دون أن يفكّر كما يجب ومن دون إطلاع شيخه الروحيّ، اليروندا، مارَسَ إمساكاً في الأطعمة متدرجاً، لكنه مَرِض. ثم ما لبث أن قال للأب نيكيفوروس مازحاً: "أيها الشيخ، أعطِني أيضاً قطعة جبن أخرى وسأقوم بصلاة كبيرة لك". أما ذاك فكان يبادله المزاح: "يا بنيَّ، الكتب تقول "صومٌ، سهرٌ، صلاة". أما أنت فجعلتها طعام وصلاة. ماذا سيحدث لك بهذا يا ترى؟" إلاّ أنه كان يُظهر له بأنّه يمازحه أبوياً

كان الشيخ يتذكّر جيّداً الصلوات التي كان يقوم بها، عندما كانوا يعملون معاً. في سنوات شبابه الأولى كان يقول إنّ قدرة الصلاة لديه كانت قوية جداً. الأمر الذي صار يعتبره، من خلال تواضعه، أنه لم يعُدْ موجوداً خلال سنيه اللاحقة، وأن أفكاره في ذلك الحين كانت تملأ نفسه بالأنوار. وقد روى مرّةً ما يلي: "لكي نقوم بعملنا اليدوي، وهو إعداد الأختام الخشبية للقربان، كان يتوجّب علينا أن ننشر جذوعاً سميكة من خشب الحور كُنّا قد أتينا بها من الغابة. نثبتها كما يجب، مع الشيخ الأب نيكيفوروس، وننشر بمنشار كبير يدوي، واحد يشدّ من هنا والآخر من الجهة الأخرى، قليلاً قليلاً كنّا نقطّع الجذوع. هذا أذكره جيداً". ثم تابع الشيخ، وقد أشرقت أساريرُ وجهه، "في إحدى هذه المرات، بينما كنّا نعمل مع اليروندا، راحتْ نفسي تصيح داخلياً وقد امتلأت لهفةً وشوقاً: "اذهب إلى الغرفة، فالمسيح هناك ينتظرك!" كنتُ مضطرماً ناراً بكليّتي من نعمة هذه الأفكار". في حين آخر أيضاً، فيما كنتُ أشتغل على المخرطة اليدوية البسيطة، لجعل الأختام مستديرة، وأنا أتصبَّبُ عرقاً من الجهد المبذول، فالمخرطة كانت تدور بدعسة الرِّجل، كنتُ أصلّي بشوق وحرارة: "أيتها الملائكة، ويا رؤساء الملائكة، إفسحوا مجالاً. أريد أن أرى ربّي!"

في أواسط الستينات من القرن العشرين كان الأب نيكيفوروس قد بلغ السبعين من عمره، وكذلك الأب بروكوبيوس. أما الشيخ أفرام فكان قد دنا من الخمسين. وبهذا قد أتمَّ ثلاثين سنة في الطاعة والخدمة التي لم تعرف كسلاً أو فتوراً. لكنّه من ذاك الوقت بدأ يعاني من التعب الجسدي، فأراد أن يمنح ذاته شيئاً من الدعم والمعونة. وهكذا جلبوا مدفأة مازوت إلى الكنيسة، لأنه لم يكن يستطع أن يخدم القدّاس الإلهي وأن ينتبه إلى مدفأة الحطب في الوقت ذاته

خلال كلّ هذه السنين كان يُخرج المياه المتجمّعة من المطر في الخزان بواسطة الدلو. أخيراً، أرسلَ له أخوه مضخّة يدوية فتوقف حينها عن أن ينحني ويسحب الحبل المعلّق به الدلو. كان يتعبه أكثر هو أن المطبخ لم يكن فيه ماء وكان عليه أن يستقيهِ كلّ يوم من خزان الماء الأرضي، للطبخ، لصنع الأختام، للجلي، ولغسل الثياب، كان الماء يُستقى من البئر الخزان. أخذ يفكّر بأن ينشئ خزاناً صغيراً إسمنتياً خلف المطبخ على الصخور أسفل القرميد بقليل، لكي يُجمّع مياه الأمطار هناك. "سيكون الخزان الجديد عالياً كفاية بحيث يصل الماء بواسطة قسطل إلى المطبخ". وعندما وجد المكان المناسب فكر أيضاً: "بقليل من المتفجّرات نزيل بعض الصخور وسيكون جاهزاً". كان يمكن إنشاء خزان بسعة عشرة أمتار مكعبة، إلاّ أن الأب نيكيفوروس كان معارضاً.

ورغم توفر المال اللازم، إلاّ أنّه لكونه طاعناً في السن كان يتضايق من مجرّد سماعه بفكرة كلّ هذه الجَلَبة المزمعة أن تصير. لدى محاولة الأب أفرام أن يضغط عليه بنوع من الإصرار، حَسَم الأمر باتاً فيه

- "يا بُنيّ، دعني أموت وافعل من ثمَّ ما يحلو لك"
- "مُتْ وسأدفنك، إنّي كاهن" قال الأب أفرام كذا فاقد الصبر منزعجاً

"آخ!! ماذا يعني بيروندا، أيّها البائس، هل نسيتَ؟، مباشرة بعد هذا الكلام أحسستُ أن الله تركني. والآن ماذا ستفعل؟ المعذرة، باركني بيروندا". ثم ذهب وصنع له مطانية

إلاّ أنه فهم أن عليه أن يعمل أكثر من ذلك مع شيخ مسنٍّ، ففكّر بملاطفته. فقال له بلطافة: "بيروندا، إذا مُتَّ أنت، فسأحزن كثيراً ولن يكون لديّ الرغبة في شيء أبداً. إلاّ أنه إن أنشأنا الخزان، سأقول: شيخي الروحي أنشأ هذا الخزان وسهّل أموري. وهكذا سأصلّي من كلّ قلبي: ليُرح اللهُ شيخي ويرحمه، سامحك الله، بيروندا". ولم يتأخّر القلب الأبوي عن التعطف. "إيه، هيّا حسناً، ماذا تريد، خذْ هذه النقود وباشرْ عملك". وهكذا صُنع الخزان الأول، بعد آلاف المصاعب مع الأب أفرام الذي كان يجهل إنشاء أمور كهذه، وأخيراً وصل الماء إلى المطبخ. كان الشيخ بروكوبيوس يغسل يديه بفرح ويقول مراراً وتكراراً: "حنفيّة، حنفيّة!" بالرغم من كونه متردّداً في ما سبق، وإن لم يكن سلبياً بالكلية، كونه مُتَربياً على الحرمان لسنوات طويلة، بَدَتْ له هذه المعونة البسيطة نعيماً وترفاً

كثيراً ما كان الشيخ يقول ويكرّر: "ما هو البيروندا، وماذا يعني، فقط الشيطان يعرف. لأن قوّته تتحطم. إصنع مطانية للبيروندا واذهب حيثما كان. عندما تعترف بفكر لدى الأب الروحي تنقّي نفسك. إسمعوا هذه الحادثة: "مرّة غيّرتُ غرفتي. ابتعدتُ عن مجاورةِ البيروندا، أيّ عن المكان الذي كنتُ منه قادراً على سماعه وعلى الاحتفاظ بذكره في فكري والانتباه عليه. السبب هو أني كنت أنزعج حتى من صوت تشحيط أحذيته الثقيلة على الأرض، عندما أكون نائماً. ابتعدت قليلاً عنه لكن صوتاً داخلياً لاحَقَني: "يا فاقد الضمير، يا فاقد القلب، قد غادرتَ شيخك الروحيّ. قلْ لي إذا عانى من مكروه ما واحتاج إليك، مَنْ سيسمعه؟". في اللحظة عينها عدتُ مباشرة إلى غرفتي الأولى"

*مع الشيخ بروكوبيوس

كان الأب بروكوبيوس في الأخوية ثانياً في الاقدمية، بعد الأب نيكيفوروس، كان له بَرَكَةٌ كبيرة أن يموت راهباً مختبراً، كما عاش كلّ سني حياته. في العالم كان اسمه بانايوتيس باكاس، عمل في السكك الحديدية في ثيفا، أتى إلى كاتوناكيا بعد الأب نيكيفوروس بقليل. طاعته للشيخ أفرام الكبير كانت كاملة، تعبه كبيراً. تابع جهاده الحسن في الطاعة إلى النهاية، على الرغم من تقدمه في السن

كانت علاقته مع الأب أفرام كلها محبة وتعاون في العمل؛ في العمل اليدوي، في التدبير المنزلي، في الكنيسة، كما في الجهاد الروحي. كان يتعب خلال النهار عاملاً باجتهاد، فينعس في السهرانية، وكان الأب أفرام يساعده حاثّاً إياه على اليقظة. كان البيروندا أفرام يناديه باحترام "أبونا، أبّا" وكان يشدّده في الصعوبات التي كان يعانيها من تسلّط الأب نيكيفوروس ومطالبه الكثيرة. ومن جهة أخرى كان يتعجّب من ترتيبه في شؤونه الحياتية ومن مهارته في أشغاله. كان يصلُ مراراً وتكراراً إلى دير اللافرا تنفيذاً للطاعة لكي يُنزل الأغراض والحمولات من كاروليا، وكذلك فإنه عندما رقد بعد كلّ هذه السنين، كان محافظاً على حذائه الرهباني سليماً وكأنه جديد إلى درجة أن البيروندا أفرام أخذه لنفسه.

وفي الطبخ أيضاً كان بارعاً ماهراً. عندما كانوا يتغيّبون لكي يُقيموا القداس لدى أحد جيرانهم في الاسقيط، كان يضع الوعاء على قاعدة الفرن الحطبي الحديدية ويزوّده بما يحتاج من الحطب تحته ويشعل النار ويغادر الجميع. عند عودتهم كانوا يجدون الحطب قد احترق بالتمام، والطعام مطهو بامتياز وساخن، ينتظرهم

عمله اليدوي كان صناعة الأختام اللازمة لتحضير القربان. في إحدى المرات، ويروي اليروندا هذه القصة مراراً، كان الشيخ بروكوبيوس يجلس في كرسيّه، قرب شُبّاك المطبخ، يحفر وينحت في أختامه الصغيرة. في تلك الأثناء كان الأب أفرام في الغرفة المجاورة يعمل في تهيئة الأختام وخرطها، وفي نحت الأمشاط الخشبية. على الموقدة كانت الأختام تغلي ببطء لكي تطرى. في لحظة ما احتاجت النار الحطب. "يا أبانا، النار تنطفئ" كان الشيخ بروكوبيوس يكرّر ويتضرّع متأفّفاً من الأب أفرام. من عادة اليروندا أن يساعده بحماس دائماً. "في تلك اللحظة كنتُ أنحت في الأمشاط وأنا أصلّي وكنت في تعزية وفرح روحيين"، تابَعَ راوياً ومعلّماً، "وأعرف، من خبرتي، أن مثل هذه الحالات الروحية بعد فترة من السنين تضعف وتقل. وبالتالي فكّرتُ: "ما دام الآن أمامي طعام روحي، دعني آكل حتى أشبع، وفي ما بعد أهتمُّ بأمر النيران في الموقد". هذا ما كان في الأمر. حالة النعمة التي كنتُ فيها تركتني في الحال. فبالإضافة إلى أني قمت بالمعصية، بتجاهلي نداء الشيخ بروكوبيوس، خسرتُ أيضاً الصلاة النقية المعزّية"

مرة شعر الراهب بركوبيوس برائحة طيب فترك عمله اليدوي وذهب إلى الغرفة المجاورة:

- "أبونا، ما الذي يفوح بالطيب؟" تساءل ببساطة
- "الريحان"، أجابه الأب أفرام، مشيراً إلى الشجرة خارج النافذة.
- "ولكن، النافذة مغلقة"، علّق الشيخ باستغراب وشيء من الخباثة المخفية المحمودة

كان الراهب بروكوبيوس يجد صعوبة في طاعة الأب نيكيفوروس . وقتاً ما تملّكته أفكار متضاربة:

- "أريد أن أغادر المكان"، قال له أحد الأفكار
- "أين ستذهب؟"، سأله الآخر مجرّباً
- "لا أستطيع أن أصبر على الأب نيكيفوروس"، فكر آخر كان يتشكّى
- "أيّ راهب أنت؟ إن كنت لا تستطيع أن تصبر؟"، أنّبهُ آخر

أخيراً قرّر أن ينفصل عن قلاية القدّيس أفرام وأن يقيم في كوخ في اسقيط القديسة حنة. بعد وقت قصير ذهب الأب نيكيفوروس إليه، فوجدهُ وأقنعه بطريقة لبِقةٍ أن يعود إلى مكان توبته. قال فيما بعد: "منذ لحظة خروجي من قلاية القديس أفرام شعرتُ بالضياع". إلاّ أن هذا الفكر حاربه وأزعجه من جديد، فأراد أن يغادر ثانية. حينها نصحه الأب أفرام أن يُتعِب نفسه قليلاً ويذهب إلى الاسقيط الجديد، وأن يعمل مطانية لدى ضريح الشيخ يوسف، وبعدها فليعمل ما ينيره به الله. بالفعل، همَّ وانطلق. وما لبث أن خرج من البوّابة، حتى شعر برائحة طيب تلفّ المكان مما حمله على العودة. وهكذا تركه الفكر المُحارب

مرة اعترف الأب أفرام لدى الراهب بروكوبيوس بفكر يحاربه. كان الأب نيكيفوروس غائباً فدعي الأب أفرام إلى كاروليا لإقامة صلاة الزيت. أنهى صلاة تقديس الزيت وهَمَّ بصعود الطريق عائداً إلى بيته، راح يستعرض في فكره ويتذكّر الخدمة التي أقامها، لكنه لم يتذكّر إن كان قد باركَ الزيت بيده أم لم يفعل. وبدأت الأفكار تراوده: هل باركتُهُ أم لم أباركه؟ اضطربَ ضميره الرهباني الشفاف. استمرت الأفكار حتى الليل في السهرانية. في لحظة ما، وهو متعب من الأمر، تذكّر الراهب بروكوبيوس. كان يجلس في إحدى زوايا الساحة، على طبلية (كرسي صغير من دون ظهر)، يحمل مسبحته في يده، قائماً بسهرانيّته الصغيرة. "أبونا، تحاربني أفكار بأني لم أُبارك الزيت البارحة في كاروليا" قال له معترفاً. "يا مُبارَك، إننا باستمرار نعمل صلاة الزيت، لقد اعتدت أن تباركه من دون أن تفكّر"، أجابه الشيخ الصغير ببساطة وبراءة. فاختفت كلّ الأفكار، وشعرتْ نفسُهُ بالسلام. "هل ترون قوة الاعتراف؟" هذا كان تعليق اليروندا على الحدث

من كثرة الأتعاب أصاب الراهب بروكوبيوس فتاق. حاول أن يتدبّر أمره بأربطة مختلفة ووسائط أخرى لتمرير الوقت بدون عملية جراحية، لأنه لم يكن يريد الذهاب إلى العالم. فهو لم يسبق له أن خرج من الجبل

المقدّس، على مثال شيوخ كثيرين كانوا يحافظون على هذا الأمر كحدقة العين. وهكذا كانوا يقولون في ما بينهم: "سيأتي وقت، حين لن يُمدح فاعلو الفضيلة، بل الذين لم يخرجوا من الجبل"

علاوة على ذلك، كانت الأوقات السالفة صعبة، ووسائل الاتصال قليلة وضعيفة. أما حالة الفتاق عنده (وقد كان مضاعفاً) فكانت من سيئ إلى أسوأ. في أمسيات كثيرة كان يتأوّه من الألم، وكان الأب أفرام يضطر إلى تسخين قطعة قرميد وأن يضع له كمادات ساخنة لكي يستريح قليلاً. كان يجد صعوبة كبيرة في كلّ تحرّكاته

إلاّ أنه في أحد الأيام مرّ بهم راهب يعاني من المشكلة ذاتها، وأكّد له هذا أنه في هذه الأيّام بعد العملية الجراحية يمكن له أن يقفز راقصاً كعنزة في الجبل. أخذ الراهب بروكوبيوس ضوءاً. طلب بركةً، وخلال أيام قليلة أخذ من دافني، ميناء الجبل، الخط المباشر إلى بيريه (ميناء أثينا) حيث كان له أقارب هناك

كان الأب أفرام يصلي له، لأن الشيخ الصغير كان له أكثر من أربعين سنة لم يخرج فيها إلى العالم. بالتأكيد كان من المتوقّع أنه سيلاقي المصاعب. في ذلك الحين رآهُ بروحه يبتعد في البحر عن دافني. قال للأب نيكيفوروس: "بيروندا، سجّل التاريخ. اليوم يغادر دافني". بعد يومين أيضاً ذَهَب إلى البيروندا وقال له: "أكتب تاريخ اليوم والساعة، الآن ينزل إلى ميناء بيريه". بعد عدة أيام أيضاً شعر الأب أفرام بضيق وألم في نفسه. أسرع من جديد إلى الشيخ الرئيس وقال له: "بيروندا، في هذه الساعة إما العملية الجراحية لم تنجح أو حصل له مكروه آخر. لا أدري تماماً ما الأمر. المهم إني أشعر بألم من أجله. أرجوك، هيا بنا الآن لنعمل صلاة الزيت، لكي يعينه الله ويخفف عنه". بعد شهر من الزمان عاد الشيخ بروكوبيوس وقد أجرى العملية، صحيحاً معافى مسروراً. من بين الأمور الكثيرة التي حدّثهم بها، أنه عندما نزل في ميناء بيريه وأخذ يتطلّع هنا وهناك كالضائع، غير عارف كيف سيذهب إلى أقاربه، دنا إليه شابان، وأخذا منه صُرّة ثيابه وقاداهُ إلى البيت، من خلال العنوان الذي كان معه. وهما يتكلمان في الطريق قالا له إن كلاً منهما يُدعى ثيوذوروس (هبة الله). حالما وصلا، تركا الأغراض، وأرَياهُ المنزل، وعندما استدار ليشكرهما، انذهل، بعد أن تأكد أنه لم يجد أحداً خلفه. فراح يكلّم نفسه متعجّباً: "أيها القديسان ثيوذوروس (وهما القديسان ثيوذوروس التيروني وثيوذوروس قائد الجيش)، أشكركما جزيلاً"

حانت الساعة، فراحوا يتأكدون من الساعات والتواريخ التي كانوا سجّلوها واحتفظوا بها. لقد كانت التواريخ الثلاثة صحيحة. حَدَثَ أنه في المرة الثالثة لم تكن حياته في خطر، بل فقط مُسَّ اعتباره فقط ومكانته كراهب، لأن الطبيب الجرّاح المسؤول، حاول أن يسخر منه بطريقة غير لائقة وبعيدة عن أصول المهنة، أمام كل طاقم الأطباء ومرضى آخرين، راغباً في فحصه. "ذاك الطبيب لم يكن ورعاً. كان ماسونياً"، هذا ما قاله البيروندا أفرام لنا بطريقة حادة. "لم يُهنْ الراهب فقط، بل الله. لذلك أنا تألمتُ حينها"

رقد الراهب بروكوبيوس بعد مرضٍ في شيخوخته عام ١٩٦٨. منذ عام ١٩٦٣ كان عنده رفيق محبوب جداً إليه، لم ينفصل عنه، السيّد يوحنا، والد الأب أفرام بحسب الجسد. هذا كان شيخاً بعمر ستٍ وثمانين سنة، لكنه مرحٌ وطيب، أتى إلى قربهم وحيداً، لكي يلفظ أنفاسه الأخيرة في بستان العذراء (الجبل المقدس، آثوس) بقرب ابنه. "ألعلّكما عاشقان أنتما؟" كان البيروندا يزعجهما بهذا السؤال متثاقلاً عليهما، "دوماً أراكما معاً". هذان الشيخان الصالحان كانا في صحبة ومودّة متبادلة، ثم إنهما أبطلا القول المأثور السائد: "إن لم يكن لك شيخ، فاشترِ واحداً. لكن لا إثنين، لأن الإثنين سيختلفان ويتشاحنان باستمرار"

*لعبة شدّ الحبل

إلاّ أن هذا القول المأثور تحقَّق في علاقة الأب نيكيفوروس مع السيّد حنا. لقد حلّت الغيرة الذميمة بينهما. كان اليروندا يستصعب كثيراً أن يرى أيّ اهتمام أو عناية يقدّمها الأب أفرام لأبيه في الجسد. هنا بدأ -بالنسبة إلى الشيخ أفرام- جهادٌ صعب طويل، جهاد لا يناسب حالته الروحية ولا طبعه الرزين. أمضى أياماً من أصعب أيام حياته وهو يحاول جاهداً تهدئة الأب نيكيفوروس وتلطيف الجو معه من جهة، وخدمة أبيه باعتدال ومن دون دافع شخصي، من جهة أخرى. الشيخ يوسف، الذي كان يدعمه، ويشجّعه، ويمنحه السلام في ما مضى، كان قد غادر إلى ربّه منذ زمن طويل. السيد يوحنا، الذي كان يظن أنه سيموت قريباً بسبب كِبَر سنّه، عاش طويلاً. لقد عاش بقربهم ثماني سنوات كاملة، كانت سنوات استشهادية مريرة بالنسبة للأب أفرام. قال عنه الآباء حينها: "ليكُن الله في عونه، لقد دخل الأب أفرام بين نارين: والده من جهة ، وأبوه الروحي من جهة أخرى"

في صورة فوتوغرافية للأخوية في ذلك الحين، يبدو الأب أفرام شيخاً أكثر من الشّيخين الآخرَين (مع أنه الأصغر سنّاً). بالفعل، لقد كان في تعب نفسي كبير، لدرجة أنه في النهاية خاصم الله معاتباً. كان كأيوب الصابر على الآلام يصرخ في صلاته: "مَنْ سيدخل قاضياً بيننا، أنت يا مَنْ أعطيتني هذه التجربة غير المحمولة، يا إلهي؟"

حتى الشيخ أيوب، المنضم حديثاً إلى الأخوية، انزعج أيضاً. وقد صار هذا راهباً باسم أيوب لدى تعرُّضه لمرض ثقيل. إلاّ أنه تعافى وعاش ما يقارب السنتين بعد مرضه. كان يقول: "أقسِمُ، ولو كانوا فرشوا لي الطريق ليرات ذهبية، لو كنتُ أعرف هذا الوضع، لما أتيتُ إلى هنا". وقد كان يجلس في غرفته الصغيرة كلّ النهار مصلياً بالمسبحة، إما "صلاة يسوع" أو "إفرحي، يا عروساً لا عروس لها"

في أحد الأيام نادى السيّدُ يوحنا ابنه بصوتٍ عالٍ:

- "يا بنيّ أفرام، يا أفرامي!"

- "ما الأمر يا أبتي؟"
- "تعال لأقول لك شيء. هيا، هنا فيما أنا جالس أخذني النوم قليلاً، فانفتحت البوابة ودَخلتْ ثلاث نساء. كانت الوسطى بينهنّ تضع تاجاً على رأسها وقالت لي: "كيف الحال؟" فأجبتها:
- "وكيف سيكون؟ ها أنا متضايق حزين". فأجابتني:
- "لهذا أتيتُ، لأقول لك لا تتضايق. لا أريدك أن تتضايق وتحزن." وصارت غير مرئية، واختفت"
- "آه! يا أبتي العزيز، كانت العذراء. هل أدركتَ ما قالته لك؟ هنا تريدك. لا تقبل أفكاراً تحثك على الذهاب."

العم يوحنا الذي كان عصبيّ المزاج وحادّ الطباع، تحوّل بعد سيامته، إلى الراهب أيوب الطيب والوديع. كان الأب أفرام يتعجب من طيبته وتسامُحه، وشعر بالنقص في نفسه. في ذلك الحين مرض الأب نيكيفوروس. تقدّم الشيخ أيوب إلى ابنه حاثاً إياه على الاهتمام قائلاً: "يا بنيّ، ضع محاجم (طاسات هواء) على البيروندا، انه مصاب بالبرداء"

إلاّ أن صبره كان مزمعاً أن يُختَبر حتى النهاية. في إحدى الأمسيات فيما هو خارج إلى دورة المياه القائمة في الهواء الطلق، مشى قليلاً ثم سقط. كان قد كسر حوضه. أمضى أربعين يوماً في الآلام رافضاً أن يصل الخبر إلى ابنه الضابط في الجيش (شقيق البيروندا أفرام)، خوفاً من أن يتشوّش وينزعج. وقد رقد بالرب في الثامن من نيسان ١٩٧١

* الجَدَّة الذهبية

في ذلك الحين وبالتحديد عام ١٩٦٣، بعد مغادرة الأب إلى الجبل بقليل، في يوم الجمعة العظيمة، رقدت والدة البيروندا أفرام. لقد استحقت هذه المرأة العظيمة، قبل رقادها بيومين، أن تصبح راهبة بالاسكيم الكبير باسم ماريا إذ كانت طوال عمرها تتضرّع إلى العذراء من أجل هذا الأمر هذا من جهة- ومن جهة أخرى كان موتها بالفعل سلامياً باراً منعَماً عليه

كانت نفساً طيّبة ومعزيّة للذين حولها، عندما دخلت إلى المستشفى العسكري لدى إصابتها بمرض القلب، أذهلت الجميع بنُبلها ولسانها الظريف. راح الطبيب مرة لزيارتها :"أهلاً بطبيبي الغالي كالذهب. كيف حالك؟ ما أخبارك؟ والسيدة زوجتك، وأولادكم هل كلهم بخير؟" هكذا تداركته وسألته بكلّ ملاحةٍ وظُرفٍ. كان الأطباء يقولون بإعجاب :"إن هذه الجدّة هي التي تشدّدنا وتعزّينا، عوضاً عن أن نشجّعها نحن ونواسيها".كانت تحبّ ابنها الصغير، الضابط، حباً كبيراً. عندما ذهب لزيارتها، أحسّت بذلك قلبياً قبل مجيئه، قالت بخفرٍ قُبيل مجيئه لخطيبته، التي صارت زوجته، والتي صادف وجودها هناك: "جاء خاصتَّكِ". وما هي إلاّ لحظات حتى جاء الضابط. تعجبت الفتاة، كيف أمكن لحماة أن تقول عن ابنها "إنه خاصتّكِ"، لكنها استطاعت لتواضعها وقلبها الكبير

عندما علم البيروندا أنها دخلت إلى المستشفى، أرسل إسكيماً كثير الصلبان[٨] إلى أخيه، وكتب له طالباً أن يصيّروها راهبة، مؤكداً له "إنها لن تخرج من المستشفى حيّة"

تروي ابنتها:" عندما صارت أمنا راهبة بالاسكيم الكبير في المستشفى والذي رغبت به طوال حياتها، وبينما كانت صامتة في أيامها السالفة،كما أخبرتنا الممرضات، في ذلك اليوم، يوم سيامتها، وحتى المساء كانت تتكلم باستمرار! أنا جلست قربها طوال تلك الليلة. كان وجهها منيراً مشرقاً، أصبح مضيئاً بعد سيامتها! كانت تتكلم وتنظر إلى السماء! "ماذا تقولين يا أمي؟" كنت أسألها: "ماذا ترين؟"، "ماذا أقول لكِ، يا بُنيَّتي، يا للروعة! ماذا رأيتُ! ولكن أين أوجد الآن؟" ثم صَحَتْ، عادت إلى نفسها، وأدركت أنها في المستشفى

---

١٠ حبل مجدول، فيه صلبان كثيرة، يلبسه الرهبان فوق الاسكيم القماشي.

بعد أسبوع من إقامتها في المستشفى، وبينما كانت قد تحسنت صحتها وهي على وشك الخروج، أصابتها حمى قوية، مجهولة السبب. مع إطلالة يوم الجمعة العظيم رقدت. كان موتها سلامياً، هادئاً. جاءت الراهبة التي كانت قد تعهَّدتها لدى سيامتها وألبستها، أعني جهزتها. في الحال شعرتُ برائحة طيب قوية، لا توصف! قلتُ حينها للراهبة: "حسنٌ جداً، أنتن الراهبات تضعن عطوراً؟" فأجابت الراهبة "لا، سيدة هيلين، لا نضع عطوراً. أما رائحة الطيب هذه الفائحة، فأنا شعرتُ بها حالاً، عندما غيرتُ لها ثيابها. إنها تصدر عن جسد والدتك. انتظرتُ لكي تلمسي هذا أنت أيضاً بنفسكِ، لهذا لم أقلْ شيئاً. هذا علامة قداسة. هذا يدل على أن أمك قد خلُصَتْ". وأقمنا هناك بقربها متحيّرين. كان الكاهن الذي خدم الجنازة متعجباً، وقال إن ما يحصل يتعلّق بنفس مقدّسة! كان يخرج الطيب من جسد الأم كالعرق! وعندما كنا نعانق ونقبّل أمنا، لامست ثيابنا جسدها، بقيت هذه الثياب تفوح برائحة العطر مدة أسبوع! وفي الجنازة كانت تفوح طيباً أكثر من وقت الدفن"

البيروندا بذاته يعترف: "نعم، هذا ما حصل. إني بالفعل سقطتُ، بطريقة ما، في خطيئة حفظ الإساءة. إنني أعترف بذلك. إلاّ أن امرأة، قروية، أُميّة، أُنظرْ إلى أين وصلت! عندما كنت أصلي من أجلها، كنت آخذ. لم أكن أنا من يعطي! كنت أمتلئ من النعم

رأيتُ، كما لو أنها رؤيا، أنَّ أمي ذاهبة إلى المسيح فاستقبلها مرحِّباً :"أهلاً يا ماريا، أهلاً وسهلاً يا ماريا". أما نحن فلنا سنوات وسنوات هنا، نُجاهد في سبيل اقتناء هذه الحالة الروحية السامية"

مرات كثيرة تراءى لي أن أمي هي الشيخ يوسف الهدوئي، والشيخ يوسف هو أمي. الاثنان شيء واحد...

أرى أنَّ لها الحالة الروحية نفسها التي للشيخ يوسف. قبل أن ترقد، وبعد رقادها أيضاً، كان لدي معلومة، هي المعلومة نفسها: لقد وصلت أمنا إلى الغاية، إلى الحد الأقصى. كيف لك أن تُفسِّر ذلك الآن؟. كما أنّه عندما تمدّد الخمر بإضافة الماء إليه تحصل على النتيجة ذاتها بإضافة الخمر إلى الماء، فالنتيجة هي هي. هذا ما قصدتُه نوعاً ما. كان الشيخ يوسف أمي، وأمي الشيخ يوسف

لم يكن لأمي من تقتدي به، لوحدها، تعلّمَتْ أن تصبر في الضيقات والأحزان وحيدة دون معين وفي كتاب حياة الشيخ يوسف يمكن للمرء أن يرى الصبر الجميل الذي كان يمارسه في الضيقات والشدائد المتنوِّعة. يكتب القديس يوحنا الذهبي الفم عن أيوب الصدّيق إنه كان عنده فضائل عديدة، لكن بفضل صبره الكبير فقط، ولكونه لم يتذمَّر، مدحه الله وغبّطه

* سندٌ روحيّ

كان البيروندا أفرام يصلي من أجل إخوته وأقاربه الآخرين، ويساعدهم روحياً عندما يكونون في حاجة أو ضيق. رغم ذلك لم يحدث أن زارهم أبداً، وبقي عشرات السنين إلى أن رآهم في كاتوناكيا

روى لنا:"في إحدى المرات حلمت أن أخي قد سقط في البحر، فأخذتُ أفكر، هل أختنق غرقاً أم لا. عندها في الحال رُحتُ أمشي على الأمواج وانتظرتُ أن يظهر على السطح. حالما خرج إلى أعلى، أمسكته من شعره وسحبته إلى الخارج. في الواقع عندما رأيتُ الحلم، كان هو قد جُرح جراحاً بليغة وشُفي عجائبياً. نجاته كانت تعني الصلاة، المسبحة التي أعملها له دائماً

مرة أخرى، ألقى الشيوعيون أيديهم على أخي وسجنوه. كانوا قد قرروا أن يقتلوه. في ذلك المساء رأيت في نومي أنهم وضعوه في السجن فسألتُ الحارس لماذا هو محبوس. فأجابني إنه مديون بمائة وخمسين ليرة. حينها أخرجتُ مالاً وأعطيته مائتين، فتركه حراً طليقاً. بالفعل، نجا بشكل عجائبي، أطلقوه حراً، بعد أن كان محكوماً عليه بالموت".

وقد بَلَغَتْ صلوات البيروندا لتشمل صعوباتهم العائلية. تروي أخته ما يلي: "كنت أعاني من ضيق وانزعاج كبيرين، لأني كنت على وشك الانفصال عن زوجي. لقد كان زوجي متعلّقاً جداً بأمّه، التي كانت تدفعه

باستمرار للانفصال عني (وكان عمرها ٨٠ سنة). كان يبحث عن علّة ما، لكي يحقق مأربه. أما أنا فكنت أفكر ماذا يمكنني أن أفعل بطفلتين صغيرتين. عرضت الأمر على أمي فطلبت مني : "يا بُنيّتي، دعينا نُصلّي ما استطعنا. لا شيء يحصل إطلاقاً من دون مشيئة الله. فقط بمشيئته، يمكن أن يحدث!" كان ألمي كبيراً. كنتُ أحمل صورة أفرام وأبكي، وأكلمه، وأصلّي، كما لو كانت الصورة أيقونة. كنت أترجّاه بدموع أن يساعدني وأن يخلّصني من هذا الخطر الذي يواجهني

خارالمبوس (أخي) كان قد ذهب في ذلك الحين إلى أفرام، في الجبل المقدس. قال له أفرام: "لماذا تُزعجني أختي هيلين باستمرار؟ لماذا تأخذ صورتي وتطلب مني المعونة باكية؟ قل لها أن تأخذ أيقونة العذراء وتصلّي أمامها وتتضرع، وليس صورتي أنا! العذراء ستساعدها، العذراء ستقوم بأعجوبتها، ولن تصاب هيلين بأذى"

وصلت برقية من أمّ زوجي، حيث كتبت فيها طلباً أن يذهب إلى القرية بخصوص الأمر المعروف. الأمر المقصود وهو الطلاق. تصوَّر حزني وألمي حينها. أغلقت على نفسي باب الغرفة. أخذت أيقونة العذراء، التي كان أفرام قد أرسلها إليّ مع الشيخ نيكيفوروس، بُحتُ لها بما يؤلمني باكية بتنهداتٍ وتضرّعتُ إليها أن تخلّصني من هذا الخطر الرهيب. كان زوجي مزمعاً أن يغادر إلى القرية في الصباح. في المساء السابق وَصَلَ خبرٌ مُفاجئ من القرية أن حماتي وُجدتْ ميتة على الكرسيّ حيث كانت جالسة ولم تكن مريضة! وهكذا لم يتحقق ما كنتُ سأتعرَّض له من خطر الطلاق، لأن زوجي تغير جذرياً بعد هذا الموت المفاجئ لوالدته"

ومن أجل أخيه الكبير، المرحوم إباميننوندا، كم صلى وصلى! كان الابن المدلّل للعائلة، وقد حصل على القسط الأكبر من الصلوات عندما كان حياً وأيضاً بعد رقاده

صلّى بحرارة من أجل ابنة عمّه التي كانت في آلام كبيرة، رغم كونها قد تورّطت في الشعوذة، متجاوزاً كما قال لنا كلّ حدٍ، كان يتضرّع: "يا مسيحي، من أجل الدماء التي سفكتَها وأنت على الصليب، ارحم هذه النفس أيضاً". قال بعد حين: "إلاّ أني حصلت على صفعة، واللوم عليَّ. يتقبل الله كلّ شيء (لكن بتوبة)، أما السحر والشعوذة... فبعيداً عنه"، قال هذا بعد أن تعلّم من التأديب الذي تلقاه. "ومرّة أخرى، طلبتُ أمراً مشابهاً (يتعلّق بإنسان خاطئ غير مستحقّ) فأثَرتُ حينها سُخط الله، إلاّ أنني تداركتُ الأمر وطلبت المغفرة "إيفلويسون" (سامحني) وتجنَّبتُ الصفعة ثانيةً. هذه الأمور مخيفة ومَهولة"، هذه من اعترافاته

الراهب للزيت[٩]

كان للأب نيكيفوروس صديقٌ من جيله، اسمه العلماني لوقا، حاول مراراً أن يلحق به إلى الحياة الرهبانية. إلاّ أنّه في كلّ مرة كان يعود أدراجه إلى العالم، لأنه لم يكن ثابتاً في دعوته. مرّت سُنُو عمره ولم يصبح راهباً بعد. إلاّ أنه أقنع البيروندا، الأب نيكيفوروس، أن يسيمهُ راهباً في بلدته ثيفا، باسم ليونديوس

بعد وقت قصير لحق به إلى كاتوناكيا. إلاّ أنه كان قد شاخ في العمر، كان بحاجة إلى خدمة الآخرين له، بالإضافة إلى معاناته من مرض بوليّ يسبّب رائحة مزعجة. وكان الأب بروكوبيوس مسناً أيضاً وقد تضايق جداً حتى درجة اليأس، عندما فرض عليه الأب نيكيفوروس، بكونه البيروندا، أن يخدم ليونديوس. كان يناجي نفسه قائلاً: "سأخدم آخر! وأنا بحاجة إلى من يخدمني ". كان الأب أفرام يعزّيه قائلاً له إن السيّدة العذراء ستهتم بمنفعة الجميع. وهكذا كان يمضي الوقت

عندما أرسلوا إليه علبة سمنة، وهي نوع غريب نوعاً ما عن كاتوناكيا. رفع الشيخ ليونديوس إصبعه بحماسةِ راهبٍ مستنيرٍ جديد وقال :"الراهب للزيت، للزيت فقط". إلاّ أنّه مع مرور الزمن قادته كاتوناكيا القاسية إلى وجهات نظر معاكسة

---

٩ بمعنى أن على الراهب أن يتقشّف. ويستعمل الزيت، ولا يعتاد أبداً على اللحوم والأجبان والسمن

حدث في ما بعد ما يلي: كان يذهب الأب أفرام كلّ يوم في تلك الفترة إلى الطبيب في اسقيط القديسة حنة بسبب تردّي حالته الصحية، وكان الطبيب قريباً من الكنيسة المركزية للإسقيط، بعيداً نوعاً ما عن شاطئ البحر. وبداعي حماسة الشيخ ليونديوس وجرأته في الصلاح، قال له في أحد الأيام:

- "إيه، أبونا، مرات كثيرة، تذهب إلى الاسقيط ولا يخطر في بالك أن تجلب أوقية من السمك!"
- "أيها الشيخ، إنّي أذهب إلى الكنيسة وجوارها، ولم أصل مرة إلى شاطئ البحر". أجابه الأب أفرام
- "إذهب، إذهب مرة أخرى إلى الشاطئ!" وأصرّ عليه الشيخ ليونديوس

تعجب البيروندا أفرام كيف أنّ من كان يفكر بأن الزيت فقط يليق بالراهب، صار يطلب خلال فترة وجيزة، السمك بتكرار وإلحاح

يبدو أن العذراء حفظت الأخوية من والإضطرابات الإزعاجات، لأنّ الشيخ ليونديوس أخذ يتذمّر متعلّلاً بأنه مريض، وأنه بحاجة إلى معاينة الأطباء، وأنه عليه أن يذهب إلى العالم، خارج الجبل. كان الآباء ينصحونه: "اصبر أيّها الشيخ ليونديوس، اصبر، الله كبير، ستُعينُك العذراء". إلاّ أن ذاك بقي مُصرّاً، وعندما أكّد له الأب نيكيفوروس أنه سيرافقه إلى ثيفا، نزولاً عند رغبته، صرّح بفرح واغتباط: "نعم سأحارب العدو هناك، حيث سأذهب". وكان يرفع مسبحته مبرزاً إياها. إلاّ أنه من حينها لم يَعُدْ أبداً

* أمراض-أتعاب- وأفكار إلهية

من النادر جداً ألاّ يعاني المرء من الأمراض عندما يتقدّم في السن. بالنسبة إلى الأشخاص الروحانيين تكون الأمراض مرحلة إضافية في الجهاد والنعمة، فإنه: "عندما أكون ضعيفاً، حينها أكون قوياً" (٢ كور ١٢ : ١٠)

كان البيروندا يعاني من الحساسية. ظهرَ مرضه منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره كحبيبات رمل في عينيه. إلاّ أنه أخفاها عن أطباء المدرسة خوفاً. بعدما أنهى المرحلة الدراسية الثانوية، عام ١٩٣٠، وحاول الانضمام إلى صفوف الجيش، كان يعاني من إصابة خطيرة بمرض جلدي (إكزيما) عند مفصل كعب رجله اليمنى. فأعطوه تأجيلاً من التجنيد لمدة سنتين وكان التشخيص: "مريض بالتقرّح، يُشفى مع الزمن". فاستغل التأجيل وأتى إلى الجبل المقدس

لكنَّ المرض والتعب تبعاه. مشكلة قدمه رافقته طوال العمر وبشكل متفاقم، وقد امتدت مرات كثيرة إلى سائر جسده. جرّب أدوية كثيرة وحميات صارمة طويلة المدى، إلاّ أنّه لم يحظَ إلاّ بتحسن بسيط. وما كان عليه إلاّ الاحتمال. في سنيه الأخيرة، عندما كان يتوجّع من تقرُّح قدمهُ، لم يكن يستطيع النوم تقريباً. كان يقول في بعض الأحيان: "لم أتضرّع إلى الله أن يرفع عني المرض، بل أن يعطيني الصبر"

يبدو أنّه في شبابه أيضاً مارس صبراً جميلاً. كان عليه بتلك القدم، المؤلمة في منظرها وفي أوجاعها، أن يذهب كلّ يوم إلى اسقيط القديسة حنة، عند البحر، صعوداً إلى الجبل... إلخ. لكي يخدم الشيخين الآخرين في الأخوية: الأب نيكيفوروس والراهب بروكوبيوس، كونه هو الراهب الشاب الوحيد. كان عليه أن ينظّف، أن يطبخ، أن يعجن بأصابعه فقط، لأنّه الويل له، إن وقعت مجرّد نقطة ماء على يده فإنّها دائماً كانت مهيّجة ومتقيّحة بسبب المرض. كانت تلفّه كلّه زوبعة ثائرة من الألم غير المحمول. لقد كان شقاءً لا يوصف

شارف ذات مرة على أبواب الموت. كان الأمر يتعلق بصدمة تحسسيه. تهيَّج جسدُه بجملته، امتلأ بالدمامل الطافحة مع حكّة رهيبة حتى الدم. الوجه تشوّه، والرموش أغلقت العيون بالتمام، مع رعشة في جسمه ككل، صارت تحدث بتواتر متزايد. "نيران آكلة". حصل هذا غالباً ما بين العامين ١٩٤٠-١٩٥٠ (أيام الاحتلال الألماني). "من أين لنا أن نعرف تسالونيكي أو الأطباء في ذلك الحين! ذهبتُ إلى الكنيسة ووقفت في المقعد مقابل السيدة العذراء. راحت دموعي تسيل كالأنهار. قلتُ مناجياً السيّدة: "يا عذرائي

الحنون، قد وعدتنا أن تكوني وصيّة على أمورنا ومغذية وطبيبة لنا. إني أُطالبكِ بكلامكِ ووعودكِ الآن". هكذا صليتُ، وفي الحال شعرت في أعماق نفسي بسلام هادئ لطيف

كانت الكنيسة تبعُد عن مشغل الخياطة (هو المضافة اليوم) حوالي ١٠-١٢ خطوة. هناك كان الشيوخ يشتغلون. وبينما أنا ذاهب إلى هناك، شعرت أن الالتهاب قد خفّ عن جسدي. نظرت إلى يديّ، وكأنّ الجلدَ جلدُ طفل صغير. لقد عملت العذراء عجيبتها". ومنذ ذلك الحين أصبح المرض محمولاً

كان الشيخ يجاهد وحيداً كلّ سنيه حتى موت الأب نيكيفوروس. من حين لآخر كان يأتي بعضهم طالبين الرهبنة، لكن إما أنهم لم يصبروا ويبقوا، أولم يكونوا مناسبين. بالإضافة إلى ذلك كان الشيخ يوسف قد سبق فرأى الصعوبات التي سيلاقيها الشيخ أفرام، فكان ينصحهُ ألا يكوّن أخوية بنفسه، مادام الأب نيكيفوروس على قيد الحياة. وهذا ما حصل بالفعل، على الرغم من أنه في السنوات العشر الأخيرة كان قد مرّ ما يقارب عشرة من الشباب طالبين أن يبقوا بقربه كرهبان

هكذا فإن القُفف العديدة التي احتوت ألفاً من الأختام الخشبية، والتي كانت في طريقها إلى أثينا، كانت تنزل على كتفه إلى اسقيط القديسة حنة، إلى شاطئ البحر، وكذلك حمولات القمح كانت تذهب من خلاله لتدور في مطحنةٍ بقرب الكنيسة المركزية للإسقيط. والخمر الذي من دير ديونيسيو كان يجلبه إلى الشيوخ بأوعية خاصة، رويداً رويداً مشياً على الأرجل، صاعداً ونازلاً طرقاً غير معبّدة، وعرة ومنحدرة وزَلِقة. أيّ حيوان هذا يتحمل جلب مواد البناء، صفائح الحديد، أخشاب، قرميد، زفت، إسمنت!، إنه هو نفسه ذاك الحيوان والطباخ والمدبر والمزارع مع المعول بيده، هو العامل والحفار والمعمار، بالإضافة إلى كونه الكاهن الخادم لكلّ كاتوناكيا والمجاهد من دون انقطاع أو تقصير في التزاماته الروحية الشخصية

* * *

إلاّ أنّ الله لم يكن يتخلى عنه في اللحظات الحرجة. مرّةً، وفي غابة "المياه الباردة"، كان يجاهد وحيداً محاولاً أن يُخرج إلى الطريق الرئيسية الترابية حطب شجر الحور من أجل استخدامه في صنع الأختام. ومن شدة التعب وصعوبة العمل أخذت خاصرته تؤلمه. حينذاك ظهر في الطريق شاب ما، راح يساعده. أخرجا الأخشاب إلى حيث يستطيع سوّاق البغال أن يطالها، وبعد برهة اختفى الشابُ فجأة بشكل عجائبي. أثناء العمل كان قد ذكر أن اسمه ثيوذورس. أخذ الشيخ يفكّر فيما بعد "أيّ من الإثنين كان، التيروني أم قائد الجيش؟"

* * *

مرة أخرى أيضاً كان ذاهباً تنفيذاً للطاعة إلى اسقيط كسينوفوندوس. انطلق من دافني، ميناء الجبل، سيراً على الأقدام وكان يفكّر فيما عليه أن يصنع، حيث إنّه لم يكن يعرف المكان كما يجب. إلاّ أنه وهو سائر صادف كاهناً، من جيرانه في كاتوناكيا، كان ذاهباً أيضاً إلى ذاك الاسقيط وقد ادّعى انه يعرف الطرقات الموصلة إليه. وبالفعل وصلا بعد حين إلى هناك، إلاّ أن الكاهن المرشد "ابتلعته الأرض". استغرب الشيخُ الأمر كثيراً جداً، إلاّ أنه اكتفى بالقول: "المجد لك يا الله"

* * *

كان الشيخ أفرام يخصُّ القديسَ نكتاريوس باحترام وتقوى مميزين. كان يذكره في القداس الإلهي مراراً، ويشعل شمعة عند أيقونته. وقد اعتاد أيضاً الذهاب للسجود لرفاته الفائضة طيباً، الموجودة لدى أخوية الأب جراسيموس ناظم التسابيح في إسقيط القديسة حنة الصغير. وعندما كان يعاني من صعوبات وضيقات كان يطلب من الآباء هناك فيُحضرونها إلى كاتوناكيا للبركة

عندما سألوه لماذا يعتبر القديس نكتاريوس قديساً عظيماً هكذا، أجاب: "لأنّه حتى اليوم لم يزل يتعرَّض للدسائس والنميمة"

لاحظ يوماً أنّ القمح المخزّن لديه على وشك أن يفسد بجملته بسبب كثرة السوس فيه. كان وحيداً مع الأب نيكيفوروس المريض، وكان من الصعب عليه أن يحلّ محله. صلّى للقدّيس نكتاريوس، رسم إشارة الصليب على قطعة قطن فوق رفاته، ووضعها في وسط القمح وأراح باله. بعد حين، عندما احتاج أن يطحن قمحاً ليعجنه لصنع الخبز، وجد القمح نظيفاً سليماً بالكلية. كان القدّيس نكتاريوس قد قام بأعجوبته!

كان الشيخ يوقّر جداً كلاً من القدّيس مينا العظيم في الشهداء والقدّيسة إيريني خريسوفالاندو. وكثيراً ما كان يذكرهما في الليتورجيا الإلهية، وكان يطلب إمّا من القديس مينا أن يدله على شيء ما كان يبحث عنه، أو من القديسة إيريني أن تأتي بالسلام حيث يكون هناك حاجة ماسة له

* * *

كان الشيخ روفاييل يعيش وحيداً، حياةً رهبانية صارمة، في بيت كان امتداداً لمغارة في الصخر، قريباً جداً من قلاّية القديس أفرام السرياني. وكان الشيخ أفرام يزوره بتواتر، ليتمّم هناك واجبات كهنوتية. مرة، عندما كان يتمم خدمة سرّ الزيت المقدس مع الأب نيكيفوروس، سمع الييروندا أفرام صوتاً من أيقونة رؤساء الملائكة القدّيسين يقول: نحن في انتظارك، متى ستأتي إلى قُربنا؟" امتلأ الشيخ من الفرح لإحساسه بهذه النعمة. وعندما ذكر ذلك فيما بعد للشيخ يوسف، سمع منه التفسير التالي للحدث: "لم تتكلم الأيقونة، يا بني، إلاّ أن النعمة تأخذ هذا الشكل"

* * *

في ذلك الوقت جاء إلى كاتوناكيا كاهن شاب ومجاهد، أراد أن يصون الجميعُ الثمرة الروحية التي يجنوها من القداس الإلهي. فطلب من سائر الشيوخ في كاتوناكيا أن يُبطلوا الضيافات التي كانت تتم بعد القداس، موائد المحبّة، وكذلك ما يليه من أحاديث بريئة عادية كانت تطفئ شعلة القداس. إلاّ أنّ غالبية الشيوخ عارضت ذلك

قال الييروندا: "استفزّني الأمر وأثارني، أحاطني الغيظ والضغينة لمدة يومين أو ثلاثة، بسبب موقف غالبية الشيوخ. في النهاية -وأنا في حالة التوتر النفسي، صلّيت- وقلت: "أيّها القدّيس باسيليوس، أيّها القدّيس ثيوذورس الستوذيتي، أيتها القديسة إيريني خريسوفالاندو، إني أجاهد في ما علمتموني إياه، لكن تُراني بعد هذا أنال الحس الروحي السامي؟ لستُ أدري." وفي الحال امتلأت نفسي سلاماً نحو كلّ الإخوة الشيوخ وشعرتُ أني حققت نصراً كبيراً. بقيت لمدة ثلاثة أيام أشعر وكأنّ فتاة في الثانية عشرة من عمرها تتبعني، لقد كانت العذراء

* * *

كان الييروندا حساساً جداً في السفر، وخاصة في البحر. إنّ التنقل بين الأديرة والأساقيط بواسطة القوارب والسفن عادة مألوفة في الجبل المقدس. كان السفر بحراً يتعبه ويرهقه بما يفوق الوصف. كان يتجنب السفر، وعلى الأخص إن سبق له وخدم القداس الإلهي، لأنه كان يخاف من القيء. وهذا يُعتبر خطيئة إذا تَمَّ بعد المناولة. في أحد الأيام كان في الاسقيط الجديد، وأقام هناك الذبيحة الإلهية المقدسة. كان البحر يبدو هادئاً، ومن دون أن ينتبه ويفكر في الأمر جيداً دَخَلَ إلى القارب الصغير ليعود إلى كاروليا-كاتوناكيا. كانت المسافة قصيرة، ولكن حالما تجاوزوا الرأس الصخري بيناس، الداخل في البحر، صادفوا هيجاناً في البحر استمر طوال اقترابهم من كاروليا. كان القبطان خائفاً من دوار البحر والغرق، ثمَّ قرر أن يتابع مسيره. كان الييروندا بطبيعة الحال في دوار البحر وعلى وشك أن يقيء. دنا من القبطان وقال له بطريقته الاندفاعية الحماسية مكرراً: "يورذاني، ستبلغ كاروليا!". تراجع القبطان مضطرباً مرتبكاً وأدار المقود بعصبية نحو

رصيف ميناء كاروليا قائلاً مغتاظاً: "سأبلغها، وليتحطّم القارب!" في الحال هدأ البحر. فنزل البيروندا والآباء الآخرون، وأنزلوا أيضاً كدسة من الأغراض بهدوء، حينها راح القبطان يعترف بإعجاب: " أنت أيّها الأب، لديك قدّيس عظيم!"

* "ملاكٌ أنت"

كان الشيخ قد عَلِمَ منذ سنوات، وبحزن وألم، أن مرضاً ثقيلاً سيصيب الأب نيكيفوروس. صلى كثيراً وسكب دموعاً، لكنه أخيراً لم يستطع منع الأمر. عندما بدأت العوارض الأولى للمرض وبدأ ذاك المُسِنُّ يشعر بالاستياء والضيق، تضرّع في محبّة كبيرة إلى الله أن يرفع عن المريض هذه الحالة وان يضعها عليه هو الأب أفرام، وأن يعطي المريض حالته الصحيّة الجيّدة. بالفعل اعترف الأب نيكيفوروس أنه ليومين أو ثلاثة كان يشعر أنه أصبح بحالة ممتازة، أما الأب أفرام فقد "ظللته الظلمة" إلاّ أن الله سمح فقط لهذا الحدّ

رويداً رويداً تطوَّر المرض إلى فقدان الذاكرة. صارَ الأب نيكيفوروس كطفلٍ لا يعرف من الناس إلاّ البيروندا أفرام، ولم يكن يستطع أن يبقى من دونه. كان يكرر قائلاً، كما لو انه يذكر أسماء عند المذبح: "أثناسيوس وسوتيرا". كان هذان إسمَي والديه. إلاّ أن البيروندا كان متضايقاً إلى أبعد الحدود، حاكماً في أمر المرض، روحياً. فاعتبره فقداناً للنعمة التي هي ثمرة عيش الإنسان بحسب الله. فزاد ساعات صلواته، أخذ يعمل قانون الصلاة المختص بالمريض، إضافة إلى قانونه الخاص، ولم يكن يتركه للحظة. إلى درجة أنّه كان ينام على أرضيّة غرفته، ثمَّ يأتي به إلى الكنيسة عندما كان يقيم القداس

في ذلك الوقت فقط نالَ البيروندا بركة أبيه الروحيّة. طوال هذه السنين التي كان يخدُمه فيها، نعم، كان يُظهر الراهبُ المسنُّ بطريقة ما أنه ممتنّ شاكر، إلاّ أنه الآن رفع يديه عالياً وصاحَ متوجهاً إلى تلميذه: "فليباركك الله، ليباركك الله. لست أنت بإنسان. إنك ملاك حقاً". فقال الآباء المحيطون بهم: "تأخّر الأب أفرام في أخذ دعاء شيخه الروحي، لكنه ناله أخيراً بقوّةٍ و كما يليق"

عندما زرنا الشيخ في آب ١٩٧٣، كان مُنهك القوى ضعيف، يترقب لغادرة الشيخ المسن لهذه الحياة. لقد رقد الأب نيكيفوروس في ٢٥ أيلول ١٩٧٣. في اليوم الثاني كتبَ الأب أفرام لأحد أبنائه الروحيين في ثيفا "...أكتب لك رسالتي هذه وأنا بالجسد، من دون روح. شيخي، البيروندا الصالح، قد رَقَد. مساء الأمس شيّعناه. إعمل معروفاً، وأخبرْ أهلَه والمختصّين به..."

أحد أبنائه الروحيين كان يتمشى في ذلك الوقت عند شاطئ مدينة تسالونيكي. أبصرَ في أحد أطراف الميناء سفينة أخشاب تحمل خشباً وجذوع أشجار. حالما علم أن وِجهتها نحو الجبل المقدس، ركضَ إلى أقرب سوق وملأ صندوقاً من أكبر وأحلى التفاح وأرسله إلى الشيخ. وكانت النتيجة أنه تلقى رسالة كلّها أدعيةً وصلوات، لأنّ التفاح الذي أرسله جاء في وقته المناسب. فالجدّ المُسنّ الراقد كان في تذكاره الأربعين، والتفاح قدّمه الشيخ أفرام على مائدة الآباء الذين اجتمعوا بالمناسبة. (وكان تقديم التفاح حينها في كاتوناكيا أمراً غير اعتيادي)

* وحيداً...

بعد هذه السنوات العديدة التي أمضاها الأب أفرام راهباً في شركة رهبانيّة أخويّة، بقي الآن وحيداً. وحيداً مع الذكريات المرّة. كانت تعزيته الوحيدة تبادل المراسلة مع أخيه، الذي كان يرسل له في الوقت عينه بعض الأشياء القليلة الضرورية. كان يتذكر والده الذي قال له مرة، عندما تقبل نذوره وخدماته الرهبانيّة: "يا أفرام، أمّا أنت فالملائكة ستخدمك". وكان يحاول تعزية نفسه بهذا

بالنسبة إلى المال، فقد ترك الجدّ شيئاً زهيداً منه، وزّعها إحسانات، وعلى أربعين قداساً من أجل نفسه. كان يتفاخر بأنّه أقام له أربعين قداساً. إلاّ أنه زاد الصلوات أيضاً. في الساعة المخصصة لصلاة الغروب أضاف نصف ساعة، وللساعتين المختصتين ببقية خدم الصلوات أضاف ساعة أخرى من أجل شيخه الروحي. كلّ هذه كان يتممها بصلاة المسبحة. بذلَ نفسه بكاملها مصلياً من أجل راحة نفسه. اعترف لأحد زواره كيف كان يصلي، أما ذاك فسجل الصلاة: "يا سيدة العالم، أيتها الملكة، يا أمّ الله. قولي كلمة لابنك، أن يسامح هذه النفس، (نفس أبيه الروحي نيكيفوروس)" ها أنذا أنزل وسط الجحيم، إني خاطئ معذب في الجحيم وأتضرع إليك من اجل خاطئ آخر. تعهّديه وارفعيه عالياً إلى الفردوس. قولي كلمة صغيرة لابنك وإلهنا... أيّ فرح عظيم سيكون في السماء! كلّ الملائكة ستحتفل، وستعيّد كلّ السماء. وإن دنا سلطان الظلام، بحركة واحدة منكِ اجعليه أسفل في أعماق الجحيم...". كانت زيارات النعمة له متكررة ومتواصلة. أخيراً علم أن نفس شيخه ستخلص. كان ذاك في فترة الصوم الأربعيني لعام ١٩٧٣

لكن على ما يبدو، فإنّ محاولاته ووحدته وقلقه من أجل خلاص نفس شيخه الروحي الراقد قد أتعبه وأرهقه. وهذا الذي بقي لسنوات يعيش على الفول، والبقول عامة، قد بدأ يستعملها منذ آخر شهر أيّار، فأصابه بسببها مرض خطير (Kiamosis)[١٠]. فكان يقيم في قلايته ضعيفاً شاحب الوجه، إلاّ أن الله سَمَحَ أن يستضيف في تلك الأيام راهباً ورعاً، الذي خلّصه بإخبار الطبيب الضليع للمنطقة، الراهب ذيموكليتوس، بحالة الشيخ أفرام الصحيّة. بعد أن فحصه، رفع يديه عالياً بشكل معبّر وقال: "بيروندا، أقول أمام السيّدة العذراء، وأصرّح أنه عليك في الحال أن تخرج إلى تسالونيك، لأنه خلافاً لذلك حياتك في خطر!" لم يقبل البيروندا بذلك، إلاّ أنه بإصرار من الآباء، رَضَخَ ونُقِل إلى تسالونيك على حمّالة حيث عُولج

كان له ثمان وثلاثين سنة لم يخرج من الجبل المقدس (١٩٣٦-١٩٧٤). خلال وقت قصير استعادَ وعيه، وأخذ بعض الأتقياء يزورونه. كان البيروندا أفرام يتشكى من هذا الأمر، لأنّه حوالي ما يقارب أربعين سنة ها هو يخرج من الجبل المقدس مضطراً. إلاّ أن النّاس كانوا يقدّرون كم من الفائدة الروحية يجنون من كلامه، وكان البيروندا يهزّ رأسه ويقول: "نعم، الفانوس يضيء، لكنّه يحرق فتيله أيضاً..."

هو ذاته يشرح الوضع في رسالة له لأحد أبنائه وهي التالي: "التسمّم الذي أصابني كان بسبب الفول. يقول الأطباء إنه إذا نقص مركب ما أساسي من دم الإنسان يفعل الفول فيه، ويعاني الإنسان من التسمم، أعني ذاك المرض الخطِر . إلاّ أنّه عندما يكون الدم صحيحاً متكاملاً، لا يفعل نبات الفول فيه ما يؤذي. أما أنا فوجدني الفول منهكاً جسدياً وأيضاً روحياً، بسبب شيخي الروحي نيكيفوروس الراقد، ولهذا مرضتُ. وقد أقمتُ في عيادة معالجة التسمّم الطبيّة لمدّة ٨-٩ أيام"

بعد ذلك كان من المفترض أن أخرج معافىً. إلاّ أني أردت وضع نظارات لعينيّ، وذلك بحسب رأي طبيب العيون، الذي فحصَ عينيّ وشخّص وجود ضعف في النظر في كلتيهما، وبالتالي لم يسمح لي بالخروج من المستشفى، بل أُرسِلتُ إلى عيادة طب العيون. هناك انتظرت ١٦-١٧ يوماً. لعشرة أيام كان الأطبّاء يُتابعون حالتي، ولم يستطيعوا فعل شيء. أعطوني حبوباً وإبراً وقطرات دواء. عينايَ انبهرت وتأذّت من كثرة الأضواء والآلات التي تعرضنا لها. أخذوا دماً من أصابعي. وفحصني طبيب عصبيّ. أخذوني إلى غرفة الأشعة، وأخرى كهربائية للتخطيط الدماغي، وكلّ هذا لكي يعرفوا لماذا؟ ما هي العلة التي أدت إلى إصابة عيني، ولم يجدوا شيئاً. كلّهم بلغوا إلى النتيجة: لم نجد شيئاً مُصاباً، لا شيء يُشَخَّصُ مَرَضِيّاً

١٠: Kiamosis: مرَض وراثيّ بالدرجة الأولى، يتضمَّن ضعفاً في دم الإنسان، وحساسيّة فيه تجاه نبات الفول الذي يخرّب الكريّات الحُمر. (المعرب)

في اليوم الحادي عشر قال لي الأطبّاء: "يا أبانا، اليوم فقط تحسَّنت عيناك". بعد خمسة وعشرين يوماً عُدتُ ثانية إلى بيتي، في كاتوناكيا، مع توصية من الأطباء بأن أخرج بعد شهرين أيضاً إلى تسالونيكي لإعادة الفحوصات: إلاّ أني لم أخرج. أقمتُ براكليسي للعذراء السريعة الاستجابة وأرحت بالي من المسألة

في تسالونيكي حيث كان قد زارني كلّ إخوتي وأخواتي وأُناس كثر آخرون. من بين النساء الكثيرات اللواتي أتين، قالت لي إحداهنَّ بعدما جَلَسَتْ قرب سريري: "أفرام، هل تعرفني أنا؟" قلت لها: "لا". "ألا تعرفني؟" كرَّرت بإلحاح. فنظرتُ إليها بشيء من الإمعان، وبعدها أشرتُ لها تلميحاً "كلا". "إنني إيليني، أختُكَ"، ثم انحنت عليّ وقبّلتني. وكان يجلس إلى جانبها رجُل ما. وبينما كنتُ أتهيّأ لأن أسأل إيليني، أختي، "هذا السيد الذي بجانبك، أهو زوجك؟" سبقني هو وسألني: "أفرام، أتعرفني أنا أيضاً؟" فحدّقتُ به وتفحّصته من رأسه إلى أخمص قدميه ثم قلتُ له: "لا". "أمّا ذاك فبادرني قائلاً: "إنّني نونداس، أخوك"

"يا عزيزي، إنها لحظات مؤثرة، بعد أربعين سنة كاملة لم أعد أعرف إخوتي"

كتبَ أخٌ آخر مُخبراً عن قصّة عودته إلى كاتوناكيا بعد مرضه قال عن لسانه: "أخيراً عدتُ إلى كوخي. جلستُ ورُحتُ أتطلّع مُتأمّلاً:

- ام ام ...! إنّ البيت قديم يحتاج إلى تبييض. إلاّ أن الفتحات فيه والتجاويف تُدخل هواءً. إنها بحاجة إلى تغيير وصيانة. من سيقوم بهذا العمل؟... الآن أنا كما أنا عليه!؟ ... هيّا، دعك من هذا، عليّ أن أحضر شيئاً ما لآكل. هناك بعض الكعك،الخبز اليابس، حسناً

- ولكن، هل ستأكل خبزاً يابساً وحَسْب؟

- لماذا تتساءل؟ ماذا كنت تأكل كلّ هذه السنين؟

- دعني أُسخّن شيئاً من المعجّنات

- ولَكْ، أيّها الإنسان المريض. لقد دنوت من الموت. أنت بحاجة إلى الحليب، والجبن... هل ستأكل فطيرة فقط؟

- إيه، إنها كاتوناكيا هنا، وليس العالم...

- نعم، ولكنك شِختَ. ثمَّ ألم تُلاحِظ كم اعتنى بكَ الناس في العالم ، وأنتَ قد ساعدتَ كثيرين، ورأيتَ كم هم بحاجة!...

- إيه، ماذا إذاً؟! هل علي الذهاب إلى العالم؟

- لماذا لا؟ من يملك خبرة روحية كالتي لك؟

- ماذا، تريد أن أتعهد رعيَّة؟ من أين لي أن أعرف أنا بهذه الأمور؟

- لماذا هذا الاستهجان، ألعلك أُمِّيٌّ أنت؟

- لا طبعاً، إنني أعرف القراءة والكتابة، لكني لا أستطيع أن أكون كاهن رعية

أخيراً وصلتُ إلى متاهة، تضايقتُ جداً.

فلأخرجنّ، ولأتعهد رعية، ولكن... اللّعنة، أيّها الشيطان ذو القرون! ألستَ أنتَ من يُحاربني كلّ هذا الوقت هنا؟!...

صحوتُ يا بنيّ، وتابعتُ حياتي ذاتها. نعم، وكانت الصلاة، ماذا أخبرك عنها! لقد أمضيتُ ستّة أشهر في جهاد عسير للبلوغ إلى الحالة الروحية في الصلاة كالتي كنتُ عليها قبل خروجي إلى العالم! نعم بالضبط! هذا هو العالم! لهذا يقول الآباء: "سنُغبّط في الأزمنة الأخيرة أولئك الذين لم يَخرُجوا إلى العالم". ما لكَ ولهذه الأمور يا بُنيَّ؟ إننا منضوون تحت راية حياة أخرى. سيجد الراهب راحة من خلال الحياة الداخليّة، سَيَجد حياةً منظمة مُحْكَمة. بالنسبة إلى العالم، هنالك آخرون مجنَّدون ليحملوا أثقاله. نحن سنهتمُّ وسنتكلّم عن الصلاة، عن الطاعة، عن التوبة. لماذا، يا أبونا، يدعون سيرتنا بالملائكية؟ لأنَّ هذا هو عملُنا، كما الملائكة،
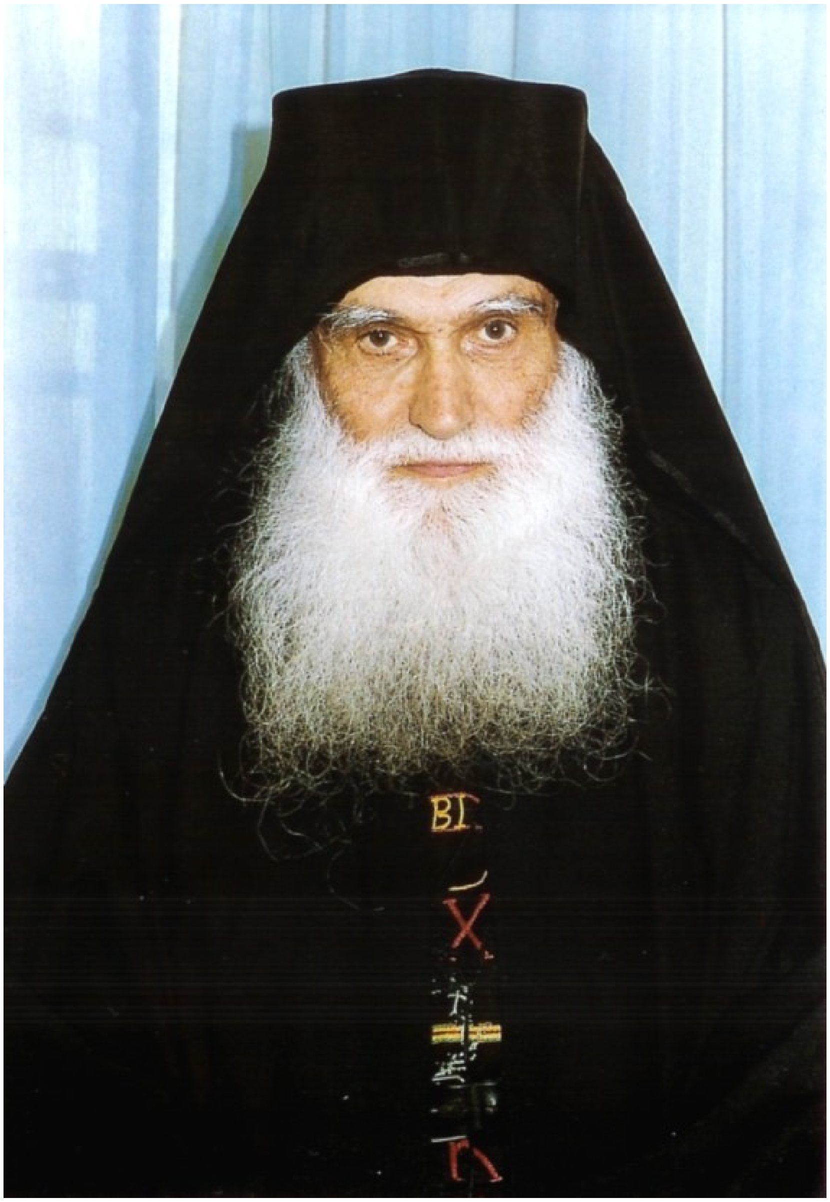
العبادة والتمجيد المستمرّان لله. أنا لا اعرف شيئاً عن التَرَوْحُن (لعلّهُ يقصُد الروحانيّات المنحرفة الباطنيّة). ليس لدينا لا حموات ولا نساء، ولسنا نعيش في العالم لكي نعرف مشاكلهم ونحمل أعباءهم. احذر ألا تصيّر نفسك "شريكاً في سقطات الآخرين"